مُحَمَّد ﷺ

في شِعْر النَّصَارَى العرب

تقديم :

محمّد عبد الشّافي القُوصِي

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1432هـ/2011م

المحتويات

تقديم 7

مقدّمة 9

المدائح النبوية 13

المعارضات الشعرية 17

بستان المحمديات 19

شهادات النصارى العرب 23

محمدﷺ في شعر النصارى العرب 33

من هو ميخائيل ويردي 43

ثقافة الشاعر 44

في ظلال نهْج البُردة 49

قصيدة نهْج البُردة 53

﴿ إن من البيان لسحراً..
وإن من الشعر لحكمة ﴾

صدق رسول الله

تقديم

المكانة السامية التي حظيت بها شخصية النبي الخاتم رسول اللهﷺ شاع ذكرها في الأمم، ووثَّق أخبارها العلماء، واطمأنت إلى رواياتها القلوب والعقول، وذلك لأسباب منها كونها أصحَّ سير الأنبياء التي وصلت كاملة عبر الزمن، وأن ذلك كان عن طريق أربعة مصادر ذات مصداقية عالية، هي القرآن الكريم الذي لم يتدخل الزمن ولا الإنسان في تغيير آياته، حيث وصل إلينا محفوظاً في الصدور ومكتوباً في السطور، ثم السنة النبوية الصحيحة التي بذل ثقاة الأمة كامل جهدهم لتصل إلينا سليمة من التحريف والتغيير. وثالث تلك المصادر كتبُ السيرة النبوية التي تتبعت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام منذ ولادته إلى يوم وفاته، وكانت صادقة فيما اعتمدت فيه على النصوص الموثوقة من كتاب وسنة، وقد سهلت كثرة طرق روايات السيرة النبوية على الباحثين مهمة تنقيحها ونقدها. أما رابع هذه المصادر، فهي كتب التاريخ، وهي عرضة لما تتعرض إليه المصادر البشرية من أخطاء، ولكنها في حالة الرسول الكريم أقلُّ خطأ من غيرها، وذلك لما تميزت به الحضارة الإسلامية من وفرة المخطوطات القديمة مقارنة بغيرها من الحضارات السابقة، ولقرب شخصية الرسولﷺ من عصر الازدهار المعرفي الذي نعيشه مقارنة بغيره من الأنبياء.

وبذلك وصلت إلينا أوضحُ وأدقُّ سيرة لشخصية تاريخية على الإطلاق، وإن رام بعضُ أعداءِ الإسلام تشويهها، ولكنهم فشلوا، واعترف آخرون من أهل ملتهم بفضلها وميزاتها العديدة فأنصفوا صاحبها، وكتبوا في ذلك شعراً ونثراً وحققوا ودرسوا وبحثوا وأنتجوا.

والكتابُ الذي بين أيدينا بعنوان **محمد في شعر النصارى العرب** للأستاذ محمد عبد الشافي القوصي مثال لما تحتله هذه الشخصية الكريمة العظيمة من مكانة في قلوب بعض النصارى العرب، وهو يذكرنا بكتاب نفيس لنصراني منصف، هو كتاب **محمد: الرسول والرسالة** للكاتب الدكتور نظمي لوقا الذي برهن فيه بالأدلة العلمية الكافية على صدق الرسول وصحة الرسالة، وأضفى عليه من مشاعر المودة والتقدير ما يعبر عن نفسية مؤمنة ومعدن نفيس.

ويجمع كتاب الأستاذ محمد عبد الشافي القوصي في صفحاته مقدمة دراسية مهمة عن المدائح النبوية، والمعارضات الشعرية، وشهادات النصارى في رسول اللهﷺ، ثم يصل من ذلك إلى نماذج من شعر النصارى في مدح الرسول الأمين، واقفاً عند شخصية مهمة في هذا المجال هي شخصية الشاعر ميخائيل ويردي، وعلى الأخص ما ورد في قصيدته نهج البردة.

ويأتي هذا الكتاب في ظروف ترتفع فيها أصواتٌ حاقدة تهدف إلى تشويه الإسلام وشخصية النبيﷺ على وجه الخصوص، وتحاول المس بالعلاقة الطيبة بين المسلمين والنصارى العرب وغيرهم، وتلك عصبية مقيتة تولى كبرها المتعصبون منذ زمن بعيد، لكنها ظهرت في أسوأ وجوهها منذ أواخر القرن الماضي، مع بروز مغالطة الخوف من الإسلام، وكان للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ دورٌ بارز في مواجهتها بالكلمة والموقف عبر الندوات والمؤتمرات والكتب والتصريحات، وليس هذا الكتاب إلا نموذجاً واحداً لما تنشره المنظمة في هذا السبيل.

ويسرني أن أقدِّم خالص الشكر والتقدير للأستاذ محمد عبد الشافي القوصي على هذه الروح الطيبة التي عرض بها كتابه، وأن أشيد بهذه الأقلام الأدبية النصرانية التي أنصفت نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وانتصرت بكتاباتها للحقيقة، غير عابئة بما يدونه المبطلون من من أراجيف تهدف إلى المساس بخاتم الأنبياء والمرسلين.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل لبنة أخرى قوية في جدار الدفاع عن هذا النبي العظيم ضدَّ تلك الهجمة الشرسة المعادية للإسلام والمسلمين.

والله ولي التوفيق والسداد.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

مقدمة

لَمْ تتوقف الكتابة لحظة واحدة عن ﴿ سيّد المرسلين ﴾ منذ أن طرقَ العالَمَ هذا ﴿ النَّبَأُ العَظِيم ﴾ الذي تزلزلتْ له السماواتُ والأرض ! بلْ اجتهد العلماء والأدباء والمفسرون والمؤرخون والفلاسفة والمستشرقون في شرح وتفسير أقواله كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً ! أو على حد قول المؤرخ اللبناني فيليب حتى : «لم توجد شخصية خضعت سائر أقواله وأفعاله للدراسة والنقد والتحليل الذي لا مثيل له في التاريخ كمُحمّد». فوجدوها يصدّق بعضها بعضاً. كما سجّل معاصروه أقواله وأفعاله وطبّقوها بدقّة بالغة، ونقلوا أخلاقه وأوصافه وشمائله، ووصفوا طعامه وشرابه ولباسه وقيامه وقعوده ونومه، حتى ملامح وجهه عند السرور وعند الغضب، منذ ولادته حتى وفاته.. لدرجة أنهم تحدّثوا عن الحُمْرة التي كانت في بياض عينيه. وقالوا أيضاً : مات رسولُ الله وفي رأسه ثلاث عشرة شعرة بيضاء ! وسجّلوا جميع حركاته وسكناته، كقولهم : أشار بإصبعيه الوسطى والسبّابة.. أوْ كان مُتّكِئاً فجلس.. أوْ ضحِك حتى بدتْ نواجذه.. أوْ تهلّل وجههُ من السرور.. وما إلى ذلك من أدق أوصاف الهادي البشير !.

ولا عجب في ذلك على الإطلاق ؛ فمُحمَّد أشرف من خطّ باسمهِ القلم.. وأطهر من شدا بذِكْرِهِ اللسان.. وأزكى من افتُتِحَ الكلام بالصلاة عليه واختُتِم.. وأعزّ من خلق الله وبرأ ؛ وأخذ العهد على الأنبياء بتصديقه والبشارة به ونصرته.

وتتالتْ عنه بشارات الأنبياء.. فجاء في الأسفار وصفه ونعته، ومولده، ومهجره، وقِبلته، ولُغته، وتمكين الله لدعوته ورسالته. فخاطبهُ ربُّه في مزامير داود، بقوله : «أنتَ أبرعُ جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمةُ على شفتيْك. لذلك باركَكَ الله إلى الأبد.. لأنّ بهاءكَ وحمدكَ البهاء الغالب.. وإنَّ ناموسكَ وشرائعكَ مقرونة بهيبة يمينك. وسهامكَ مسنونة. والأُمم يخرّون تحتك» (المزمور : 45 : 3-5).

وناداهُ ربّه في "سِفْر إرميا، الإصحاح الأول" قائلاً : «مِنْ قبل أن أُصوِّركَ في الرَّحِم عرَّفتك. ومن قبل أن تخرج من البطن قدّستك. وجعلتك نبياً للأُمم. لأنكَ بكل ما آمركَ تصدع. وإلى كل من أُرسلكَ تتوجّه. يقول الربّ : وأفرغتُ كلامي في فمكَ إفراغاً. فتأمل وانظر...».

وجاءت البشارة به واضحة جلية في سِفْر إشعيا، في قوله : «اسمعي يا سموات. وقَرّي يا أرض. ولماذا تقلقي ؟ سيُبعثُ عليكِ نبيّ به تُرحمي» (الإصحاح الأول).

ثم أخبر عن عالمية رسالته، فقال : «إنّي أقمتكَ شاهداً للشعوب. ومُدبِّراً وسلطاناً للأُمم. لتدعو الأُمم الذين لم تعرفهم. وتأتيكَ الأُمم الذين لم يعرفوك هرولة وسِراعاً» (الإصحاح الثامن والعشرون).

وقال في حقه السيّد الحصور يحيى بن زكريا : «هناك نبيٌّ قادم بعدي، هو أقوى منّي، لدرجة أنني لا أستحق حلّ سيور حذائه..» (إنجيل متى، الإصحاح الثالث).

وأفاض أخوه المسيح في وصفِه، فقال : «إنَّ البارقليط الذي يرسله أبي يُعلِّمكم كل شيء. ولنْ يجيئكم ما لمْ أذهب. فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة. ويسوسكم بالحق. وإنَّ أموراً كثيرة أُريد أن أقولها لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق. لأنهُ لا يتكلّم من نفسه. بلْ كل ما يسمع يتكلّم به، ويخبركم بأُمورٍ آتية..» (إنجيل يوحنا، الإصحاح 15-16).

ومدحه ربّه في القرآن الكريم، قائلاً : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ** ﴾ (آل عمران : 159). وزكّاه بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم : 4). ووصفه قائلاً : ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (التوبة : 128). وأقسم بحياته، فقال : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (الحجر : 72). وأخبر عن دورهِ المنوط به فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾ (الأحزاب : 45-46). وأمر بالصلاة والسلام عليه، فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ (الأحزاب : 56).

إذنْ.. فيمَ العجب.. إذا رأينا (المكتبة المُحمّدية) اكتظت بآلاف المجلدات، وملايين المؤلفات عن (الهادي البشيرﷺ) ؟!. فهو قدوة العابدين، وسيّد المجاهدين.. وإمام المرسلين. وهو فتى الفتيان.. وفارس الفرسان.. وبطل الأبطال. وهو الصادق الأمين.. والبشير النذير.. وحُجّة الله على العالمين. إنه سيّد ولد آدم.. وصاحب لواء الحمد.. وصاحب الشَّفاعة الكبرى. وهو أجود الناس وأزهدهم.. وأوفى الناس وأصدقهم. وهو أشرف الخلق وأجملهم.. وأعظم الأنبياء وخاتمهم.

فَفِيمَ العجب.. إذا تدلَّه الكُتّاب والشُّعراء بسيرتهﷺ، وتغنّوا بشمائله ؟

فالذين عاصروه فعلوا أجلّ من ذلك وأعظم؛ ففدوه بأموالهم وأنفسهم.. وخرّوا يُقبّلون أقدامه وما تحت أقدامه ! وحملوا لواء دعوته؛ ففتحوا بها البلدان والأقطار، وتخطّوا بها اليابس والماء ! بلْ استُشهِدوا في سبيل دعوته ورسالته !.

فلا عجب أن تترى قصائد المادحين عبر العصور، بمختلف اللغات؛ تترنم بسيّد الكونيْن، والثقليْن، والفريقيْن من عُربٍ ومن عَجَمٍ !. ومازال الشّعراء يُرصّعون قصائدهم، ويُزيّنون دواوينهم بمدح (إمام الأنبياء) موقنين ـ في ذات الوقت ـ أنهم ما بلغوا مقصودهم، وما حقّقوا غايتهم التي تهفو إليها أفئدتهم !.

ولعلّ ما جادتْ به القرائح من قلائد المطولات والمعلّقات؛ كان سبباً وراء خلود هؤلاء المبدعين وشهرتهم الواسعة في سائر الأزمنة والأمكنة.. فالمادحون هم الذين نالهم الشرف الرفيع بمدحهم لأشرف الخلق، وداعي الحق (مُحمّدﷺ) !.

أوْ على حد قول الشّاعر الإسلامي "سيّد سليم" :

فمدحهُ شرفٌ عالٍ لمادحهِ وغيره كَمْ سَمَوا بالمدحِ والنّغَمِ

أوْ كما قال القائل :

أنا ما مدحتُ مُحمّداً بقصائدي لكنْ مدحتْ قصائدي بمحمّدِ

وهكذا يظل (رسول الإنسانية الأعظم) فوق مدح المادحين، وثناء المتدلّهين !

كما يقول الشّاعر النصراني "جاك صبري شماس" :

مهما مدحتك يا (رسولُ) فإنّكم فوق المديحِ وفوق كلّ بيانِ

محمد عبد الشافي القُوصي

القاهرة : 27 ربيع الخير 1432هـ